الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحفيظ بالوصوف –ميلة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الأولى ماستر
السداسي: السادس
المادة: تاريخ الأدب العربي –أعمال موجهة–
الأستاذ: سميرة بوجرة

أبو العلاء المعري: حياته وشعره

1. التعريف بالشاعر أبي العلاء المعري:

أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري .شاعر وفيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمى في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة .ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه. وكان يلعب بالشطرنج والنرد.

وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم .وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة. وكان يلبس خشن الثياب. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (لزوم ما لا يلزم) ويعرف باللزوميات، و (سقط الزند) و (ضوء السقط) وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء .وقال ابن خلكان: من تصانيفه كتاب (الأيك والغصون) في الأدب يربى على مئة جزء. وله (تاج الحرة) في النساء وأخلاقهن وعظاتهن، أربع مئة كراس، و (عبث الوليد) شرح به ونقد ديوان البحتري، و (رسالة الملائكة) صغيرة، وهي مقدمتها، ثم نشر المجمع العلمي الرسالة كاملة، و (اختيارات الأشعار، في الأبواب) في أيا صوفية و(شرح ديوان المتنبي)

جزآن، تم نسخهما سنة 1059هـ، في خزانة الشيخ محمد طاهر بن عاشور، بتونس. و(رسالة الغفران) من أشهر كتبه، و (ملقى السبيل) رسالة، و(مجموع رسائله – ط) و (خطبة الفصيح) ضمنها كل ما حواه فصيح ثعلب، و(الرسائل الإغريقية) و (الرسالة المنبجية) و(الفصول والغايات) الجزء الأول منه و(اللامع العزيزي) في مخطوطات جامعة الرياض، وهو شرح لديوان المتنبي، ألفه لعزيز الدولة فاتك بن عبد الله (240 ورقة) ولكثير من الباحثين تصانيف في آراء المعري وفلسفته، منها ليوسف البديعي (أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري) ولكمال الدين ابن العديم (الإنصاف والتحري، في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري) ولعبد العزيز الميمني (أبو العلاء وما إليه) ولزكي المحاسني (أبو العلاء المعري ناقد المجتمع) ولسامي الكيالي (أبو العلاء المعري) ولطه حسين (ذكرى أبي العلاء) و(مع أبي العلاء في سجنه) ولأحمد تيمور (أبو العلاء المعري، نسبه وأخباره وشعره) رسالة، ولعباس محمود العقاد (رجعة أبي العلاء) ولوزارة المعارف أشهر رسائل أبي العلاء الأدبية في عصره، عدها ابن العديم فيما وقفه ابن عمار صاحب طرابلس سنة 472هـ على دار العلم بطرابلس. وأثبتها ابن خير الإشبيلي في مروياته، وذكرها ياقوت فيما سلم إلى وقته من الضياع من آثار أبي العلاء، وعدها القفطي فيما رآه بعينه من كتب أبي العلاء التي سلمت من حملات الكفار، وعارضها الوزير الكلاعي في كتاب سماه: (الساجعة والغربي وذكرها الذهبي في التاريخ، والصفدي في الوافي، والمقري في نفح الطيب، ثم طويت في غيابة الزمن فلم نعد نسمع لها ذكراً منذ أواسط القرن 11 الهجري .ولا نعرف لها أثراً غير النسختين المحتفظ بهما في خزانة الرباط، كتبت الأولى منهما لخزانة أبي زكريا الحفصي سنة 638هـ، والثانية: حضرمية الأصل، كتبت سنة 697هـ ألف أبو العلاء رسالته هذه لعزيز الدولة أبي شجاع: عامل الفاطميين على حلب، بطلب من أبناء أخيه يلتمسون منه التوسط لدى عزيز الدولة في أن يضع عنهم ما فرضه الجباة، وذلك أثناء جفلة أهل حلب من طاغية الروم باسيل عام 411هـ، وفرغ منها سنة 412هـ كما أفادت د. عائشة عبد الرحمن .والصاهل والشاحج، أي: الفرس والبغل. وقد وضع أبو العلاء كتابه هذا على لسان فرس وبغل، وصور فيه جفلة أهل حلب من باسيل طاغية الروم، وضمنه عرضاً حافلاً ومثيراً لأحوال المجتمع وأوضاعه وطبقاته حين تسقط عنها أقنعتها من الخوف.

2. نموذج من شعره: قصيدة "تعب كلها الحياة"

غَيْـرُ مُجْـدٍ فـى مِلّتـى واعْتِقـادي ... نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنّمُ شـادِ

وشَـبِيهٌ صَـوْتُ النّعـيّ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَـوْتِ البَشـير فـى كـلّ نـادِ

أَبَكَـتْ تِلْكُـمُ الحَمَامَـةُ أمْ غَنْـ ... ـت عَلـى فَـرْع غُصْـنِها المَيّـادِ

صَـاح هَـذِي قُبُورُنـا تَمْـلأ الـرُّحْ ... بَ فـأينَ القُبُـورُ مِـنْ عَهـدِ عـادِ

خَفّـفِ الـوَطْء مـا أظُـنّ أدِيـمَ الـ ... ـأرْضِ إلاّ مِـنْ هَـذِهِ الأجْسـادِ

وقَبـيحٌ بنَـا وإنْ قَـدُمَ العَهْـ ... ـدُ هَـوَانُ الآبَـاءِ والأجْـدادِ

سِـرْ إن اسْـتطَعتَ فـى الهَـوَاءِ رُوَيـداً ... لا اخْتِيـالاً عَلـى رُفَـاتِ العِبـادِ

رُبّ لَحْـدٍ قَـدْ صَـارَ لَحْـداً مـراراً ... ضَـاحِكٍ مِـنْ تَـزَاحُم الأضْـدادِ

وَدَفِـين عَلـى بَقايـا دَفِـين ... فـى طَويـلِ الأزْمـان وَالآبـاءِ

فاسْـأَلِ الفَرْقَـدَين عَمّـنْ أحَسّـا ... مِـنْ قَبيـلٍ وآنسـا مـن بـلادِ

كَـمْ أقامَـا علـى زَوالِ نَهـار ... وَأنـارا لِمُـدْلِجٍ فـى سَـوَادِ

تَعَـبُ كُلّهـا الحَيـاةُ فَمـا أعْـ ... ـجَـبُ إلاّ مِـنْ راغـبٍ فـى ازْديـادِ

إنّ حُزْنـاً فـى سـاعةِ المَـوْتِ أضْـعَا ... فُ سُـرُور فـى سـاعَةِ المـيلادِ

3 تحليل القصيدة

قصيدة تعب كلها الحياة إنّ من روائع قصائد العرب هي قصيدة أبو العلاء المعري التالية الفلسفيّة، والتي تصفُ أصل الوجود ومغازيه الظاهرة والخفيّة، وخلاصة فكر المعري في الموت والحياة، فالقصيدة كغرض شعريّ تصنّف في المراثي فقد كتبها المعري في رثاء الفقيه الحنفيّ أبي حمزة، وقد قال فيها طه حسين: "نعتقد أنّ العرب لم ينظّموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم، وحضارتهم قصيدة تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء" في هذه القصيدة يصور الحياة مجرّدة بلا بهرجات، خالية من المعنى والعمق، والغريب أنّ تصويره هذا هو ما يعطي مظاهر الحياة والموت نفسها التي يصفها العمق والروح، إلا أنّها

روح مثقلة بالخواء والفراغ واللاجدوى، ويعتمد الصدق في التعبير، فهو يقدّم خواطره وحكمته بجرأة وعمق.

يبدأ أبو العلاء المعري قصيدته بالإعلان عن فلسفته ومبادئه ومعتقداته، وهو مطلع متميز يشد الانتباه، وذلك في الأبيات الثلاثة الأولى، بأن البكاء والحزن والنعي يتساوى عنده بالفرح والسرور والبشارة، وهو موقف لا أبالي ودليل على جمود العاطفة وعدم الرغبة بهذه الدنيا، بسبب موت عزيز عليه، وكان رفيق صباه:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك أو ترنم شادي

وشبيه صوت النعي إذا قيس بصوت البشير في كل نادي

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد.

وينتقل بعد هذه المقدمة بمخاطبة صاحبه على عادة الشعراء، (صاح) وهو لفظ مرخم لـ (يا صاحبي) للتحبب، وهو خطاب للقارئ أو الإنسان، يتكلم معه عن مبدأ الفناء الذي لا يفرق بين أفراد البشر، فهم متساوون تحت الثرى، عبيدا وسادة، أغنياء وفقراء، وكأن هذه القبور تهزأ بهم حينما تجمعهم، وأنه لكثرة القبور وامتداد الفناء منذ الأقوام الغابرة، يجعلنا نعتقد أن مكونات التربة من رفات الذين ماتوا، بالقدر الذي نعتقد به أن جسم الإنسان مكون من هذا التراب (كما ذكر في البيت الأخير:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء فما أظن أديم الأرض من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدم العهد هوان الآباء والأجداد

سران استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد

إنه لا يستنطق الأرض فقط ليؤكد فكرته، بل يذهب إلى السماء يستنطق النجوم التي لا تستعصي على الفناء، فهو يسأل الفرقدين (وهما نجمان) عما لمساه من قبل في مجال

المخلوقات، وما شاهداه من بلاد، فهما قد تابعا كر الأيام بليلها ونهارها فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد

كم أفاقا على زوال نهار، وأنارا لمدلج في سواد

وبعد هذا الإسهاب الذي يرسخ مفهومه وإحساسه بالفناء، واقتناعه به، يؤكد استسلامه لهذا القدر الذي لا مفر منه لذلك تغدوا هذه الحياة بلا هدف، بل هي مجرد تعب، فلماذا نحن نطلب المزيد من هذا التعب؟

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

ثم يؤكد إحساسه الكبير بالألم، وهو إحساس طغى عنده على إحساس الفرح، وربما يعبر بهذا عن حزنه العميق الذي ينتابه لفقد صديقه، أو هو عزاء منطقي لآل الفقيد، بأن الموت والفناء قدر لا بد منه على الإنسان إن حزنا في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلاد.

4. خصائص شعر أبي العلاء المعري

-اتخذ المعري غرض الرثاء منطلقا إلى التأمل الفكري والتعبير العاطفي وبذلك تحولت القصيدة لديه إلى فلسفة في الحياة وبخاصة في " داليته. "

-يستمد أبو العلاء: تجربته الشعرية من الحياة وبعضها من الثقافة كان من الطبيعي أن يوجّهها الشاعر ليستمد معانيها من التجربة الحسية، بحيث ترتسم صور المحسوسات في خيالها، ثم يستطيع خيالها أن يقيم ضروب العلاقات بينها.

-من أبرز سماته الشخصية أنه شاعر صادق الفطنة جيد الحفظ، ذكي القلب من الفحول القلائل في تاريخ الشعر العربي، آمن بحرية العمل والفكر والعقل، وحبذا العزلة والوحدة بعيداً عن الزيف والشرور، وأتى بآراء جديدة وصريحة في الحياة والموت، والخير والشر.

-فكانت أشعاره مفعمة بالمعنى الإشاري والرمزي الخصب، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سعة عقله وتوقد ذهنه وموسوعية ثقافته، إذ سخر هذه الإشارات والرموز ببراعة في التعبير عن الشعرية، كشفاً لعالمه الداخلي والخارجي المتأصل.

-كان لعنصر الخيال دور كبيرا وأساسيا في رسم الصورة في ذهن الشاعر، إذ أن الشاعر الأعمى يعتمد على الخيال في بناء القصيدة الأدبية ورسم الركائز الأساسية لها. إن لعاهته تأثيراً عظيماً في شعره أيضا؛ مما دفعه إلى الإعراب عن بالغ ألمه، وواضح أساه لأنه لم يستطع برغم إنكاره ومكابرته إخفاء عذابه وآلامه، فمضى يربط بين عاهته والموت، كما عدّ العمى خطوة نحو الموت أو مقدمة له.

-ظهر في شعر أبي العلاء بعض المعاني الغامضة النادرة المبتكرة التي تعمق فيها، وأبدع في إخراجها فنياً وخاصة في لزومياته، مما جعلها آية رائعة في دقتها وجمالها مما أعطى للصورة الفنية تميزاً فنياً بحيث تغاير أشد المغايرة عند غيره من الشعراء.

-لقد أمتاز أبو العلاء بأسلوبه الفني في التعبير عن آرائه وآراء غيره، وطريقته في استخدام ألفاظ اللغة فاستعملها بمعاني مختلفة وبصيغ متنوعة.